محاضرات (.../ ...)




# من معين أقوال السلف

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

**حفظه الله تعالى**

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

**الشيخ لم يراجع التفريغ**

السلام عليكم ورحمة الله..

الحمد لله، الحمد لله مجيب من سأله ومثيب من علَّق به رجاه وأمله، الكريم الذي من أقبل عليه قبله، ومن أعرض عنه أرْدَاه وخذله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله البررة وصحبه الخيرة، ومن على دربه سار واقتفى أثره، وسلَّم تسليمًا كثيرا.

أما بعد ففي هٰذه الليلة ليلة الأربعاء ١١ من شهر رمضان من العام ١٤٢٧ يطيب لنا في هٰذا الجامع المبارك «جامع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله تعالى» في محافظة جدة.

نرحّب جميعا بصاحب المعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشَّيخ حفظه الله تعالى وزير الشُّؤون الإسلامية والأوقاف في محاضرة ضمن البرنامج الرَّمضاني الذي يقيمه اللجنة الدعوية في هٰذا الجامع المبارك، وعنوان محاضرة معالي الشَّيخ (من معين أقوال السلف).

نسأل الله عز وجل أن يكتب مسعاه في موازين حسناته، وأن يوفقه ويسدده تسديد وتوفيق الصالحين، وأن ينفعنا بما يقول، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، أتمَّ النعمةَ ومنَّ علىٰ الأُمَّة ببعثة محمد ﷺ، فهي تتقلب في خير إلىٰ قيام الساعة، أحمده سبحانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد..

فيا أيها الإخوة الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن إذا أُعطي شَكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر، كما أسأله في هذا الشهر الكريم أن يَمُنَّ علينا وعلىٰ والدِينا وعلىٰ من له حق علينا بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن الآثام والقبول لقليل الصالحات إنه سبحانه جواد كريم.

كما أني أشكر للجنة الدعوية في جامع خادم الحرمين الشريفين دعوتها لي بأن أشارك في مجموع المحاضرات والدروس التي تقيمها في هذا الجامع المبارك في شهر رمضان.

ولاشك أن المحاضرات والدروس من أشد ما تكون الحاجة إليه في هٰذا الزمن، لأنها سلاح يتسلح به المؤمن في خِضَمِّ هذه الفتن وخضم هذه التقلبات، لا سيما أن أغلىٰ شيء عند أهل الإسلام هو دينهم،





وأغلىٰ شيء عندهم في هذه الدنيا هو إيمانهم، فالحرص عليه بالسلاح المناسب: الإيماني وبالدواء النافع من أهم المطالب وأعظم ما يُحْرَص عليه.

ولذلك كانت هذه المحاضرات وغيرها مما ينبغي للشباب وللناس بعامة رجالًا ونساءً أن يحرصوا عليها؛ لأن المؤمن إذا استفاد لا شك أنه سيفيد غيره من أهل بيته أو ممن يخالطه أو ممن يكون معه، هذه المحاضرة ليس لها عنوان يتضح معه المقصود منها، لكنها بعنوان:

**من معين أقوال السلف**

والسبب في [هٰذا] الاختيار أن أقوال السلف رحمهم الله تعالىٰ وهم من سبقنا من أهل العلم الراسخ وأهل الاستقامة علىٰ المنهج الحق فإن هؤلاء لهم من الدروس والأقوال وما أُثِرَ عنهم ما يكون إمامًا للناس، يفهمون به مقاصد كلام الله وكلام رسوله ﷺ ومقاصد الإسلام بعامة.

ولذلك كان حرص المؤمن علىٰ كلام الله تعالىٰ وهو الذي لا يعدله شيء ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص:٢٩]، هو الحق الذي لا مَحِيد عنه وهو الفصل وهو الذي تأنس له القلوب وتقوم له الناس، لذلك كان من اللوازم أن يُهتم بالقرآن منهجًا وعلمًا وعملًا، ثم بسنة النبي ﷺ، ثم بما عليه الصحابة رضوان الله عليهم، ثم بما يكون من أقوال أهل العلم الذين رسخت قدمهم وشهدت لهم الأمة [بالخيرية]، فإن في كلامهم ما يكون نِبْراسًا لأهل الإيمان.

ولذلك قال الحافظ العلامة ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في كلام السلف: كلام السلف قليل كثير الفائدة وكلام الخلف كثير قليل الفائدة.

وكلام السلف علىٰ قلته فهو محفوظ، لأنه كلمات قليلة تُستوعَب وتُروىٰ وتُذكر وتتناقلها الأمَّة، لكن الكلام الكثير تجد أنه لا يُنقل عن صاحبه مع كثرة كلامه لا يُنقل عنه إلا الشيء النادر من الكلام الذي يبقىٰ، يبقىٰ التأثير العام، لكن كلام السلف فيه نفع عظيم في التأثير وفي الحفظ، ويمكن أن ينطلق منه طالب العلم، ينطلق منه الداعي، ينطلق منه المرَبِّي في بيته، في مدرسته، ليكون ميدانًا للبيان والشرح وتعليق الناس بهذا الكلام العظيم.

لذلك كان من المهم أن نلفت انتباه المهتمين بالديانة من جميع الطبقات، والمهتمين بالعلم، والمهتمين بشأن الإسلام إلىٰ الالتفات إلىٰ ما كان عليه السلف الصالح من الفهم والإدراك والعمل، فإن

فيهم المقتدَىٰ بهم وفيهم الإمام في أقواله وأعماله.

أقوالهم كثيرة متنوعة، لكني سآخذ بعض ما تيسر منها.

وهذه الأقوال التي سأوردها ليست من جمعي وإنما كانت مراسلات عبر الهاتف الجوال بيني وبين بعض الإخوة الخاصين الذين لي بهم صلة دائمة.

وهذه من المهمات، فإن هذه الوسائل الحديثة مثل الرسائل عبر الجوال لا بد أن يُسْتَفاد منها في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، والاستفادة منها في التثبيت، وفي تعليق الناس بالمنهج الصحيح، وفي ربطهم بما كان عليه أهل العلم وما كان عليه السلف الصالح.

كثير من الإخوة يهتم في هذه المراسلات بالدعاء، سيما في بعض المواسم أو في يوم الجمعة، أو في آخر الليل، وهٰذا حسن والدعاء طيب، لكن الكلام الذي يُنتقىٰ لا شك أنه يكون له تأثير إذا كان مَعْزُوًّا لأحد من أهل العلم، هذا أساسها، ولذلك هي ليست اختيارًا مني ولكنها مجموعة و لها دلالتها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: **كم مِنْ حزازة في نفوس كثير مِن الناس مِنْ كثير مِن النصوص وبِوُدِّهم أن لو لم تَرِد تلك النصوص وكم مِنْ حرارة في أكبادهم منها وكم مِنْ شَجًىٰ في حلوقهم منها**. من «الرسالة التبوكية» لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

ماذا يقول في هذا الكلام العظيم؟ كلام الله تعالىٰ وكلام نبيه ﷺ هو الذي يُعبر عنه أهل العلم بالنصوص ولا يقصدون بالنص المصطلحَ الأصولي وهو اللفظ الذي لا يقبل الاحتمال أو التأويل، يقابلون النص بالظاهر... إلىٰ آخره، لا، بل يقصدون بالنص كلام الله جل وعلا وكلام رسوله ﷺ.

الله جل وعلا يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]، وأوامر الله وأوامر رسوله ﷺ أو الخبر الذي جاء في القرآن أو في السنة يجب التسليم والإيمان بها واعتقاد مقتضاها. وفي الأوامر والنواهي: «**وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه**».

فإذًا هذه النصوص هي حياة المسلم يأخذها ويعمل بها، ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ استعرض حال كثير من الناس في هذه الأمة ممن ألفوا أو ممن لهم شأن، قال: **كم مِنْ حزازة في نفوس كثير مِن الناس مِنْ كثير مِن النصوص**. هل حق الله جل وعلا وحق رسوله ﷺ أن يكون في القلب حزازة من النص الشرعي ؟ هذا





أمر عظيم، لكن هنا لا بد من معالجة السبب، لأن هذا أمر عظيم أن يكون في القلب شيء من ذلك ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء] اليوم في أعظم المسائل – مسائل التوحيد والعقيدة – إذا أتيت فيها بالنصوص الدالة على الاعتقاد الصحيح على الإخلاص وعلى التوحيد وعلى الشرك وما أشبه ذلك تجد أن بعضًا من الناس الذين أُشربوا هواهم في أشياء بودهم أن هذا النص لا يورد.

بل هناك أغرب من ذلك ذكره بعض المنتسبين – مع الأسف – للعلم قال: إنني إذا أتيت إلى جز عمَّ وأتيت إلى سورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ لا أقرأها. وهذا مقال قرأته في إحدى المجلات، قال: لأنها في عم النبي ﷺ. وهذا من الشأن العظيم، هذا يُسبب بلاءً عظيمًا في اعتقاد المرء وفي عقيدته وفي صلته بالله جل وعلا، النص جاء ليُتَّبع، الحجة على العباد في القرآن وفي السنة، كلام اللله الذي يتلى هو الحجة، لذلك لا بد من التسليم له، فكيف يجد بعض المسلمين حرارة – كما يقول ابن القيم – في أكبادهم من تلك النصوص، بوده أن لا تذكر له هذا النص، هكذا في مسائلَ كثيرة.

اليوم في مسائل عظيم كتحكيم الشريعة في بلد الإسلام والمسلمين، تحكيم الشريعة واجب، لكنك إذا أتيت إليهم في خطبة أو في مقالة أو في مناسبة وقلت ما قال الله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة]، بودهم أنك لم تذكر هذه الآية، ويأتي أناس كثيرون [من] الذين يناهضون حجاب المرأة ويناهضون الاستقامة ويريدون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، كما قال الله جل وعلا: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [النساء:٢٧]، أو إذا أتيت وذكرت لهم النصوص الدالة على هذا الأمر وعلى ستر المرأة وعلى عدم جواز الفتنة بها وما أشبه ذلك [كان] بِوُدِّهم أنك لم تورد هذه النصوص.

وهذه مصيبة عظيمة أن يوجد مسلم يتمنى أنه لم يسمع نصًّا شرعيا، السبب في ذلك هو الهوى، هوة في شيء معين ولا يريد أن يكون الدليل ضده، والواجب التسليم، الواجب أن لا يكون في نفس المؤمن حرج مما قضى الله جل وعلا أو قضى رسوله ﷺ، بل الواجب أن يتبع الدليل كلام الله وكلام رسوله، والدال هو النبي ﷺ، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[فاطر]، النبي ﷺ نذير وهو السراج المنير، ينذرنا أشياء ويفتح لنا الطريق في نور وبصيرة ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ ﴾





[المائدة:١٥] وهو النبي ﷺ، ولذلك تجد اليوم فيما يُنشر من مساجلات ومن حوارات فيما يدعون، سواءً في الصحف أو في بعض القنوات الفضائية وهو في الحقيقة هم لا يريدون بهذا الحوار للاستفادة ومعرفة الحق ومعرفة النص ومعرفة الدليل والاتباع والنجاة يوم العرض علىٰ الله جل وعلا، هم يريدون من الحوار خلخلة الثوابت والمبادئ التي علمناها. تأتي حوارات في قنوات فضائية الأصل أنه إذا أتىٰ النص كما قال ابن القيم هنا استلم الناس، لٰكِن هنا يأتون له طريق وطريق وتأويل وتأويل بغير حجة ولا بيان، خاصة فيما يكون مما يتعلق بالأهداف التي يريدون تغييرها في المجتمع. هٰذه لغتة دل عليها كلام ابن القيم رحمه الله.

قال الإمام محمد بن علي بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: **جميع التَّعايُش والتَّنَاصُف والتَّعَاشر في مكيال، ثُلُثَاه فِطْنة وثُلُثُه تَغَافل.**

التعايش والتعاشر مع الناس هذا لا ينفك عنه أحد، فالإنسان - كما يقولون - مدني بطَبْعِه، يحتاج إلىٰ أن يعاشر، يعاشر أهل بيته، يعاشر إخوانه وأهله، يعاشر زملاءه في العمل، من في منطقته، في حارته، في مسجده... إلىٰ آخره، هذا التعاشر لا بد لا ينفك منه أحد، ولذلك أدب الله المؤمنين بآداب التعاشر فقال سبحانه: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسۡنًا﴾[البقرة:٨٣]، والنبي ﷺ قال: «**وخالِق الناس بخُلق حسن**». قال: التعايش والتعاشر في مكيال، هذا المكيال ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل. يقول: إنك تحتاج في التعاشر مع الناس والتعايش معهم لكي تكون مخالقًا للناس بخلق حسن تكون معك صفتان حتىٰ تنجح، هاتان الصفتان ثلث صفة وثلثان صفة، الفِطْنة والتغافل.

والتغافل هو عدم إقصاء الأمور بحثًا وتنقيبًا، ربما يقول لك شخص كلمة تعرف أنه غير صادق فيها، ما تأتي تُلاحِيه حتىٰ تثبت أنه غير صادق، لا بد من الفطنة حتىٰ تدرك الأمور في تعاشرك وتعاملك، لكن لا بد من التغافل، ما ينبغي أن يكون المرء مُصادمًا، بل التعاشر مع الناس يحتاج إلىٰ مَنْ هو فَطِن ومُتَغَافل، فطن حتىٰ لا يُخدع، حتىٰ لا يأتي أشياء يظن معها أن المؤمن أو الرجل الصالح لا يفهم شيئًا، بل هو فَطِن؛ ولكنه لا يتقصىٰ الأمور إلىٰ نهايتها، بل يتغافل.

ولذلك قال أحد علماء الحديث وأظنه وَكِيعًا أو سفيان: **الخير تسعة أعشاره في التغافل**. فنُقلت للإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ، فقال الإمام أحمد: قَصَّر. يعني لم يأتِ بالصواب كاملًا، **الخير كله في التغافل**، لذلك





في التعاشر لا بد لك من التغافل، وهذه وصية لكي نحصل علىٰ أعظم ما يوضع في الميزان يوم القيامة وهو الخُلق الحسن، فإن أعظم ما يوضع في الميزان يوم القيامة الخُلق الحسن، لكن الخُلق الحسن ليس دروشة وغفلة، بمعنىٰ عدم انتباه وعدم فطنة، لا، بل حسن الخلق معه فطنة، وهذه تكون في كثير من الأحيان أعظم تأثيرًا في المقابل، إذا علم أن الذي يتعامل معه فطن ولكنه يتغافل.

قيل للإمام أحمد: إن فلانا من أئمة الحديث – أو من رواة الأحاديث – مريض وله عشَرة أيام لم يخرج من بيته، قال: نذهب لزيارته، فإن من حق المسلم علىٰ المسلم أن يعوده إذا مرض. فذهب هو وأصحابه وكان هذا الذي يروي الحديث أو من علماء الحديث كان يتأول شيئًا، يعني لا يُشترط في العالم أو في الراوية أن يكون كاملًا، بل ربما يكون له تأويل في بعض مسائل العلم يراها هكذا ولا يوافقه عليها غيره، فكان له تأويل في بعض المشروبات مما لم يُجمع العلماء علىٰ حرمته، فدخل الإمام أحمد لزيارته، فلما دخل وجد بعض هذه الأشربة وهو يعرف مذهبه، وجد بعض هذه الأشربة في مكان فجلس وجعلها خلفه، جلس الإمام أحمد لزيارة المريض، وجعل تلك الأشربة خلفه ومعه عدد من طلابه، فزاره وخرج، ثم لما خرج قال له بعض تلامذته: يا أبا عبدالله ألم تر الشراب ؟ قال: لم أر شيئًا. قال: لقد كان وراء ظهرك. قال: وهل يرىٰ الإنسان ما وراء ظهره ؟ هذا تغافل فيه حكمة، أتت الجارية لهذا الراوي وقالت: لقد أتاك أبو عبد الله ولم تمتنع عن الشراب. فقال: إذا كنت لا أستحيي من الله فكيف أستحيي من أبي عبدالله ولكني أتركه من الساعة، أريقي تلك القوارير. الموقف له تأثيره ولكن لكل مقام مقال.

هنا قال محمد بن علي بن الحسين: فطنة وتغافل، المؤمن كَيِّس فطن يدرك الأمور ويعرفها؛ ولكن لا يتقصىٰ الأمور إلىٰ نهايتها، في بيتك أنت ترىٰ أشياء يتصرف ابنك، يتصرف أخوك يتصرف صديقك في أشياء لا بد فيها من التغافل، يقول كلمة لا تعجبك، فمن الحكمة أن تمررها، لذلك قال بعض السلف: **الكلمة التي تؤذيك طأطئ لها رأسك فإنها تتخطاك**. إذا أتىٰ كلام يؤذيك تقول: فلان يقصدني، هذا يقصدني، لا تعتبر أنه يقصدك ولا تكن أنت المراد بذلك، إذا واجهت الكلام أصبح عليك أن تتخذ موقفا، لذلك فإن كثيرا من الخلافات تزيد بالمواجهات، لكن لو مررها المسلم وكان فطنًا فيها وتغافل عنها نجح كثيرًا في ذلك.

وهذا مجاهد بن جَبْر التابعي الإمام المشهور، لما شاعت الأهواء في زمنه وبدأ ظهور الفرق من





الخوارج والمرجئة والجبرية والقدرية وما أشبه ذلك، قال رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ للناس: **ما أدري أيّ النعمتين عليَّ أعظم أن هداني الله للإسلام، أو عافاني من هذه الأهواء.** لأنه يرىٰ أنه لم يصح إسلامه إلا بالسلامة من تلك الأهواء، فهو يتنازع فيرىٰ منة الله عليه بالسلامة من تلك الأهواء ويرىٰ ملة الله عليه بافسلام فيرىٰ فهذه تُتَمِّم هذه، بالإسلام الصحيح والفقه في دين الله والعلم النافع واتِّباع السبيل المتيَقَّن الذي لا اشتباه فيه سَلِم ووفَّقَه الله للسلامة من تلك الأهواء، وبحرصه علىٰ السلامة من تلك الأهواء سَلِم له إيمانه وسلم له دينه.

لذلك فإن المؤمن يجب أن يحرص دائمًا علىٰ السلامة من تلك الأهواء، فإذا وُجدت الأهواء والأقوال فاذهب إلىٰ المتيَقَّن تسلم، لا تذهب إلىٰ طريق تُخَاطر فيه بدينك، فإن المرء ما التزم بدين الله وحرص عليه وحرص علىٰ الخير ليفوز برضىٰ الله جل وعلا والجنة، فيجب ألا يخاطر بشيء مظنون.

الآن في أمور التجارة، يقول التاجر: هذا مخاطرته عالية. هم – مثلًا – يقولون: الأسهم مخاطرتها عالية جدًّا، يقولولون: هذا فيه مخاطرة لا تدخل فيه، لأن العاقل لا يضع ماله في شيء مخاطرته عالية، الناس حريصون علىٰ أموالهم، ويأنفون ويمرضون ويصيبهم ما يصيبهم إذا فقدوا هذه الأموال، لأن المال عصب الحياة، فكيف إذا خاطر بمنهجه، خاطر بدينه، فالمسألة عظيمة، لذلك يجب علىٰ المسلم ألا يخاطر بشيء هو من تلك الأهواء، بل لا بد أن يرجع إلىٰ الأصل، يرجع إلىٰ الديانة الأصلية.

وهذا الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ من العلماء المعروفين والزهاد المشهورين كان مُرَبِّيًا في العبادة والزهد، وكان أيضًا مربيًا في التعامل والتعاشر، رأىٰ في العباد شيئًا فوجه لهم تلك الكلمة، قال رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: **إن الفاسق إذا كان حَسَن الخُلق عاش بعقله وخَفَّ علىٰ الناس، وإن العابد إذا كان سيئ الخلق ثَقُل علىٰ الناس ومَقَتُوه.** كما ذكرنا آنفًا، الله جل وعلا أمر بقوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنًا﴾[البقرة:٨٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**وخَالِق الناس بِخُلُق حَسَنٍ**». فهل يكفي أن يكون العابد ممن يأتي الفرائض، يبعد عن المحرمات، هل هذا يكفي أم أنه لا بد أن يكون صاحب خُلق حسن؟ لا، قد يكون رجل يرتكب بعض المنهيات أو يفرط في بعض الواجبات أحسن خلقا منه فيثقل ميزانه من تلك الجهة.

قال الفضيل: **إن الفاسق إذا كان حَسَن الخُلق عاش بعقله وخَفَّ علىٰ الناس، وإن العابد إذا كان سيئ الخلق ثَقُل علىٰ الناس ومَقَتُوه.** يرشد إلىٰ أن الأكمل أن تكون صالحًا مستقيمًا علىٰ دين الله، ومعك





عقل يكون فيه حسن الخُلُق. كاد حُسن الخُلق أن يذهب بخيري الدنيا والآخرة، لذلك فإن حَسَن الخلق يكون محبوبًا ولو كان غير سالم من الذنوب. ومن يسلم من الذنوب لٰكِن باعتبار الأغلب.

علي بن سهل بن الأزهر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ قال كلمة توقفت عندها لما جاءتني الرسالة طويلًا، متأملًا وحَرَّكَت فيَّ أشياء كثيرة جدًّا وهي تصلح أن تناقش في محاضرة مستقلة قال: **مَن لم تَصِحَّ مَبَادئ إرادته لا يَسْلَمْ في مُنْتَهىٰ عَواقِبِه**. أول ما يدخل في هذه الكلمة الإخلاص لله جل وعلا، أول صحة مبادئ الإرادة الإخلاص لله تعالىٰ، والإخلاص أن تخلص نفسك في أعمالك من رؤية شيء من الدنيا، أن تعامل الله جل وعلا، فإذا فعلت شيئا فينبغي أن تقصد بذلك وجه الله جل وعلا، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

**فَلِوَاحِدٍ كُنْ وَاحِدًا في واحِدٍ أَعْنِي سَبِيلَ الحَقِّ والإيمانِ**

**فلواحد**: وهو الله جل وعلا. **كن واحدا**: في إرادتك وقصدك. **في واحد**: في سبيل واحد، فالله واحد ولا بد من قصد وإرادة واحدة وهو الإخلاص في سبيل واحد ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[يوسف:١٠٨]، هنا يأتي أثر الإخلاص، الإخلاص والصدق مع الله جل وعلا في مبادئ الإرادات في أي عمل يسلم لك عاقبة الأمر، إذا أردت السلامة في دينك فعليك أن تنتبه لأساس الإرادة هل تقصد وجه لله جل وعلا، أم أنك أردت أن تتميز، أو أردت أن تُذْكَر، أو أردت أن يكون لك شأن بين أهلك وأقرانك، فهذا شخص أراد أن يحفظ القرآن لأنه تأثر بمقرئ وأراد أن يكون إمام مسجد يُقصد، أو مقرئا. وهذا آخر طلب العلم أراد به أن يتصدر. وآخر طلب المال ليكون أكثر من فلان، فكل هؤلاء أرادوا الدنيا، وآخر أراد الشفاعة يريد الذكر، وآخر يعطي من المال يريد الذكر، وهذه أنواع من المقاصد، هٰذه أعمال الواجب أن يوطِّن المؤمن نفسه أن تسلم له مقاصد إرادته بالإخلاص فيها.

كيف يكون الإخلاص؟

الإخلاص أن تكون في كل هذه الأعمال مريدًا وجه الله جل وعلا، أي عمل تقول: هذا لله. ولكن لا يعني أن لا يكون لك فيه نصيب من الدنيا، بل القصد فيه الله جل وعلا، فإذا كان من العبادات الخالصة فإنه لا يجوز أن يكون فيها قصد من الدنيا، أما إذا كان أمر فيه وفيه، فإن العلماء اختلفوا فيما إذا كان للمرء في العبادة محبة علىٰ قولين لأهل العلم؟

أصحهما ما اختاره شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَة في قوله: إذا كان العمل لله جل وعلا ورتب الشرع عليه ثوابا في الدنيا فلا بأس بقصده.





مثل قول النبي ﷺ: «**مَنْ سَرَّه أن يُبْسَط لَه في رِزْقِه وَيُنْسَأ له في أَثَرِه فَلْيَصِلْ رَحِمَه**». واحد يريد صلة الرحم، يذهب ويصل رحمه ويحرص عليها قصده وجه الله جل وعلا الرغبة فيما عند الله، والله الذي أمر بذلك، لٰكِن في داخله أيضا يريد أن يبسط له في رزقه ويريد طول العمر.

فلا بأس بذلك، لأن الشرع حث علىٰ العمل بذكر هذه المثوبات. وهذه ذكرها ابن تيمية في قاعدة مهمة له وهي «قاعدة في المحبة فيما كان للعبد فيه مَحَبَّة وهو عبادة».

إذا كان هناك رجل كريم بطبعه، يأنس ويتصدق ويعطي وينفع، ويريد بذلك وجه الله، ولكنه يجد في نفسه سرورًا إذا فعل هذه الأشياء. قال: لا بأس بذلك، لأن هذه من عاجل بشرىٰ المؤمن.

كذلك قال أهل العلم: من دعا الناس لئلا يُتَّهَم بالبخل، لا يرغب أن يعمل وليمة، لا يرغب في هٰذا الشيء، يجد في نفسه ثقلا أن يعملها؛ لٰكِن البعل صفة مذمومة، البخل عدم الإنفاق فيما الإنفاق فيه واجب أو مستحب، قد يكون محرما وقد يكون مكروها بحسب الحال؛ لكن يريد أن لا يوصف بالبخل، فيعمل عملا، هو لا يريد أن يدعو ويصل ويجمع الناس،لٰكِن يريد أن لا يقال عنه بخيل، قال أهل العلم: يؤجر علىٰ ذلك، لأن عمله للتخلص من صفة مذمومة.

لذلك قال هنا علي بن سهل بن الأزهر: **مَن لم تصح مبادئ إرادته لا يسلم في منتهىٰ عواقبه**.لا يسلم من جهة الإثم، ولا يسلم في منتهىٰ عواقبه أيضًا معيشته في الدنيا، لذلك فإن مبادئ الإرادات مهمة جدًّا.

وقد قال أحد الزهاد وهو [ابن] عطاء الله السكندري في كلمة مشابهة لذلك في بعض المعاني قال: **من كانت بداياته مُحْرِقَة كانت نهايته مُشْرِقة.** بداياتك تكون محرقة قوية تشرق، يعني لابد من قوة حتىٰ تشرق عملًا صالحًا في الدنيا، يريد أن يحفظ القرآن -مثلا- وليس عنده همة، هذا غير ممكن، يريد أن يكون قويًّا في بدنه وهو لا يكون حريصًا علىٰ نفسه، هذا غير ممكن، إذا كنت قويا في إرادتك سلمت لك العواقب.

يحيىٰ بن معاذ الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ قال في كلام له وهذا يصلح أيضًا لكل ما نقوله: **الكلام الحسَن حسن ولكن أحسن منه معناه وأحسن من معناه استعماله**. صار عندنا ثلاث طبقات، أنت تسمع كلامًا حسنًا وتقول: ما شاء الله هذا الكلام جميل، لكن لا بد أن تغوص فيه، تتدبره وتتأمله، لكن تسمعه وتستلذ له، كالذي يرىٰ وردة من بعيد ولا يَشَمُّهَا، صحيح رأيت، لٰكِن أحسن منه معناه، لكن عندما





تأمل في الكلام وتتفحص في معناه يكون أحسن. وأعظم الكلام حُسْنًا كلام الله جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾[الزمر:٢٣]، استماعك وتلاوتك له عبادة، لكن أفضل من ذلك أن تكون متدبرًا عالِمًا به، ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾[العنكبوت:٤٩]، فالقرآن آيات بيِّنات في صدور الذين أوتوا العلم، فهذا هو القمة، أن يكون هناك عِلم وعَمَل، القرآن معك وتعلم ما فيه وتعمل بما فيه بحسب الاستطاعة.

قال: **وأحسن منه معناه**. لأنك إذا تأملت في الكلام وفَصَّلْتَه ودَرَسْتَه وجدت أنه تنشأ منه أنواع الرياحين وأنواع المعاني التي تأنس لها، فالشعراء -مثلا- يقولون شعرًا واستلذاذ الناس له مختلف، فهذا يقول: هذا شعر عظيم. وذاك يقول: لا. كل هذا بحسب القدرة علىٰ فهم المعاني، كذلك كلام الحكماء عظيم بليغ، لكن إدراك معانيه يحتاج إلىٰ عقل وعلم لإدراك بعد ما قال.

لٰكِن أحسن من هٰذا كله، قال: **وأحسن من معناه استعماله**. إذا استعملت الكلام الحسن قرَّ أولًا، ثانيا شعرت بِحُسْنِهِ وانشرح له صدرك، ثالثا إذا استعملته رأيت أثره وانتفعت به. ولذلك إذا سمعنا كلامًا حسنًا نتوقف عنده لنأنس به، ثم ننتقل إلىٰ فهم معناه، ثم بعد ذلك إلىٰ استعماله، وهكذا السلف رحمهم الله تعالىٰ كان كلامهم قليلا، لكن فيه معانٍ غزيرة.

أبو مسلم الخولاني ﵁ رأوه يكثر السجود، يكثر الصلاة ويحب من الصلاة السجود، فقالوا له: الآن تنقطع عن أشياء وتسجد؟ فقال: **أَدَّخِرُ كثرة السجود ليوم القيامة**. أخذها من قول النبي ﷺ لبلال: «**أَعِنِّي علىٰ نَفْسِك بكثرة السجود**».

فالنفوس إذا كانت عالية الهمة لا تقتصر علىٰ شيء قليل وتقول: أديت الواجب، ويفرح. الهمم العالية لا يُقْنِعُها إلا المنازل العالية، هذا يؤدي الصلوات الخمس فقط، لا يتنفل، هذا خير، قال النبي ﷺ: «**أفلح إن صدق**». لما قال: يا رسول الله أخبرني عن كذا وأمره بالصلوات إلىٰ آخره، قال: والله لا أزيد علىٰ هذا ولا أنقص، فقال النبي ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**» وفي رواية قال: «**دخل الجنة إن صَدَقَ**». فدخول الجنة مطلب عظيم نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من أهلها، وأن يُسَلِّمَنا من النار، وأن يعيذنا منها ومن طُرُقِها.

لكن المنازل العالية تحتاج إلىٰ إخبات في القلب وصدق. وأعظم ما يؤدي إلىٰ ذلك الصلة بالله جل





وعلا الصلة الخاصة الصادقة، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فرجع الأمر إلىٰ أن السجود فيه سر عظيم تشعر وأنت ساجد كأنك تَحُوم حول العرش في بعض الأحيان، لا يُقال: إن الرجل أو المرأة أو الإنسان في صلاته يكون دائمًا علىٰ حال واحدة، فهذا غير معقول، تأتيك أحيانًا من النفحات ومن الصدق ومن كرم الله جل وعلا وإكرامه لك ما يجعلك وأنت ساجد تبكي وتبكي وتبكي وأنت لا تدري، حتىٰ إذا انفتح عليك البكاء لم ينقطع، تريد أن تكف نفسك لا تستطيع، هٰذا منحة من الله لك فاستفد منها:

إذ هَبَّتْ رِيَاحُك فَاغْتَنِمْها فَإنّ لكل عَاصِفَة سُكون

إذا هبت الرياح رياح الخير رياح الإيمان لا تقل: أنا مشغول. هبت رياح فيها خير لك في طاعة، في صدقة، انفتح لك باب دعوة، باب خير، باب عمل صالح، مما هو موافق للكتاب والسنة فلا تتأخر، لأنها قد لا تأتي مرة ثانية. وكذلك شعورك في ليلة صليت ركعتين مثلًا، ثم أوترت، فشعرت تلك الليلة بانشراح الصدر، لأنك خشعت، فلا تنقطع لا تقل: أنا كعادتي أصلي ركعتين. بل صَلِّ صلاة الليل، لأنها قد لا تأتيك مرة ثانية، وقال ابن عمر: ليت لي ركعتين متقبلتين. لذلك قال هنا: **أدخر كثرة السجود ليوم القيامة؛** يوم الفزع الأكبر.

هذه يجب أن ننتبه ونقف عندها، تشعر وأنت تعمل العمل الصالح أنك تدخره ليوم القيامة. وهذا يعطيك عدة معانٍ:

**أولًا**: ترسيخ الإيمان باليوم الآخر، إنسان يعمل العمل يقول: أديت الواجب، لٰكِن لا يأتي في باله أنه يدخره ليوم القيامة، مع أنه يعمل ليوم العرض، يعمل لأجل الموازين حين تنصب، يعمل للقاء الله جل وعلا هٰذا معنىٰ زائد يقوي ركن الإيمان الخامس وهو الإيمان باليوم الآخر. الإيمان باليوم الآخر يأتي بما تعود نفسك عليه،

هناك كثيرون يطيعون الله جل وعلا ويعملون صالحًا، لكن استحضار هذه النية لا يكون إلا من قِلَّة، لذلك قال بعض التابعين، أو تبع التابعين للحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد أدركوا بعض الصحابة: لقد رأينا التابعين أكثر عبادة من الصحابة، فَبِمَ سبقهم الصحابة؟ فقال الحسن: **هؤلاء يتعبّدون والدنيا في قلوبهم، والصحابة تعبّدوا والآخرة في قلوبهم، فهذا الذي رفع أولئك**. يعني أن هناك فرقا بين من يصلي أو يتصدق أو نحو ذلك وفي قلبه الآخرة يرجو الله تبارك وتعالىٰ وحب الله والخوف من الله وبين من يعمل





العمل لأنه مأمور به، يقول: أنا أصلي، أنا أصوم، أتصدق، لأن الله أمرني بذلك. ولكن بالنية وحسن القصد تُرْفع المنازل، لذلك كانت كلمة أبي مسلم لها الكثير من المعاني.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: قال بعض الوزراء الصالحين لبعض من يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر: **اجتهد أن تستر العصاة فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام**. هذه الكلمة فيها أبعاد كثيرة، لكن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر – قواهم الله وزادهم قوة وبصيرة – عندهم كل يوم عشرون حالة أو ثلاثون حالة أو أكثر في كل يوم، ما سمعنا بالحالات، صحيح، نادر أن يسمع إنسان أنه حصل كذا إلا إذا كان انتشر من قرابته أو من أهله أو ممن حصل منهم، لكن اليوم هناك من لا يستر هذه الأشياء ويُشِيعُها وهي بعض الصحف، فبعض الصحف اليوم إذا أتت في نقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قالت فيهم وفيهم. وفي الصحف يقول: رجل أتىٰ ابنته، رجل وقع علىٰ أخته، هذا في الصحف عندنا في المملكة، وهذا الذي نشروه من أعظم الفضيحة، لأنها نشر علني يقرأها مليون أو مليونان، وهذا عيب في أهل الإسلام وقدح في المروءة، وقدح في شيمة أهل الإسلام وبلد القرآن، إذا وُجِد فيه رجل معتوه وقعت منه مخالفة ما ينبغي أن تُنشر في الصحف بالخطوط العريضة، يقولون: فلان وقع علىٰ أمه، فلان وقع علىٰ أخته.. إلىٰ آخره.

ولذلك الذين يصبون في إفساد المجتمعات اليوم هم الذين ينشرون الفاحشة، ونشر الفاحشة يكون بأنواع:

منها عدم الستر والله جل وعلا يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:١٩]، وهذا العذاب لأنهم أحبُّوا أن تشيع الفاحشة، الأصل الستر، الأصل أن الذنب يقع من الإنسان وقد وقعت الذنوب في عهد النبي ﷺ، هناك بعض حالات الزنا، نعم هي نادرة، لكنها وقعت باعتبار البشرية، فإذا ما حدث مثل ذلك فالواجب أن لا تُذْكَر في المجالس وأن لا تُنْشر، أما أن تُنشر في أعظم الوسائل وهي الصحف فهٰذا عظيم، كذلك بعض القنوات الفضائية يأتون بمثل هذه الأحداث، يأتون باللقاءات علانية، نعم هذه الأشياء موجودة في بعض البلدان الكافرة، في أمريكا وفي أوروبا في حلقات، أو في برامج، وهناك من يقلدهم من أهل الإسلام يأتون بأناس يقولون: أنت فعلت كذا وكذا.

يقول هنا: **هٰذا عيب في أهل الإسلام**.





إذًا ما المقصود من نشر هذه ؟ هل المقصود منها معالجة القضية؟ لا، هي حالة واحدة، لماذا تنشر صحيفة أخبارا مثل هٰذه علىٰ الملأ، ما السبب، هل هي شائعة حتىٰ تناقش، وإذا أتىٰ أهل الخير في خطبة وعرَّضوا بواحد قام أهل الصحف وكتبوا المقالات، هٰذا ذكر، والخطيب ذكر فلان، ولماذا يذكره، والنبي ﷺ يقول: «ما بال أقوام.. » والصحف نفسها إذا أتوا إلىٰ مثل هٰذا قالوا وقع فلان، وفلان وقع، وزوجته وجدت مع هٰذا وقتلها...، إلىٰ آخره.

مثل هٰذه لا يجب أن تتعدىٰ الولاة ولاة الأمر والقضاء والشُّرط وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتىٰ المرء المسلم كذلك إذا سمع بشيء من ذلك لا يجوز له أن يذكر ذلك، لأنه يجب علىٰ المؤمن أن يستر أخاه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**مَن سَتَر مسلمًا سَتَرَه الله في الدنيا والآخرة**». والحديث في ذلك ذو شجون.

وهذا سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ وهو من طبقة تبع التابعين ومن الزهاد العباد، إمام في الحديث، وقال بعضهم: أمير المؤمنين في الحديث سفيان الثوري، وكان عابدًا زَاهدًا، مَرِض مرض الموت فأُوتي بطبيب، ففحصه الطبيب، وقال: أريد أن أرىٰ بوله. فرآه وهو يتبول فقال: هٰذا رجل قطَّع الخوف قلبه. يأتي للإنسان غلبة حال يقطِّع الخوف من الله جل وعلا قلبه، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **يعجبني أن يكون صاحب الحديث مكفيًّا، لأن الآفات إليهم أسرع وألسنةَ الناس إليهم أشرع.**

**مكفي**: يعني: عنده مال يكفيه، لأن **الآفات إليهم أسرع**: يُخشىٰ عليه أن يكون محتاجًا لما هو ضروري، فيصرفه ذلك عن طلب الحديث.

**وألسنة الناس إليهم أشرع**: يعني يقولون: انظروا إلىٰ هذا كيف يصنع وهو يدعي أنه علىٰ علم، لو كان العلم نافعا له لكان الله يرزقه...، إلىٰ آخره، لذلك قال: **يعجبني أن يكون صاحب الحديث مكفيًّا**.

وقال أيضًا سفيان الثوري في معنىٰ المال: **كان المال فيما مضىٰ يُكره، أما اليوم فهو تُرس المؤمن.**

نعم الزهد مطلوب، لكن الأمور تغيَّرت، اختلفت، لم يصبح الناس في توادِّهم وتراحمهم كما كانوا من قبل، أصبح الناس لا يُقرضون بعضًا، أصبح الناس لا يسعىٰ بعضهم في حاجة بعض، الأخوة ضعفت ... إلىٰ آخره، سفيان الثوري تأمل هذه الحالة فقال هاتين الكلمتين، قال: **يعجبني أن يكون صاحب الحديث مكفيًّا**. وقال: **كان المال فيما مضىٰ يُكره**. يعني التوسع في المال أو الرغبة فيه.





**أما اليوم فهو ترس المؤمن**: يعني يتَّقي به آفات الدنيا. والناس في هٰذا مقامات، لذلك تكلم أهل العلم في تعريف الزهد.

فقال بعضهم: هو ترك الدنيا.

وقال بعضهم: هو ترك الحرام.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن استعرض هذه الأقوال ونظر فيها: الزهد ترك مالا ينفع في الآخرة. بمعنىٰ أنه يأتيك شيء يمكن أن ينفعك في الآخرة ثم تركته، فليس هذا من الزهد، قال: ولذلك قبل طائفة من السلف الولايات. لأنه يرىٰ بحسب ما يظنّمن حاله أن الولاية التي تولاها تعينه في إحقاق الحق وإبطال الباطل بحسب حاله واستطاعته.

في المال قال: (**كان المال فيما مضىٰ يُكره، أما اليوم فهو تُرس المؤمن**) لذلك فليس صحيحا أن يُذَمَّ المال مُطلَقا وإنما يُذَمُّ إذا شَغَلَ عن العلم النافع، عن الآخرة، عن الصلاح، عن نفع المسلمين، أما إذا كان الإنسان يستخدمه فيما ينفع في الآخرة فهو محمود.

نعم حسابه في الآخرة أشد والفقير حسابه أقل، ففي الحديث: «يدخل الفقراء يوم القيامة الجنة قبل أغنياء هذه الأمة بخمسمائة سنة». يعني بنصف يوم، عظيمة لأن المال يحتاج إلىٰ حساب، لكن إذا كان ينفع فالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كان منهم مَن عنده مال كثير، فهذا أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان من أغنىٰ الصحابة، وعبد الرَّحمٰن بن عوف وعثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كانا كذلك، كان من الصحابة أصحاب أموال كثيرة استعملوها في طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ فهذا عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جهز جيش العسرة بمئات، بل بالآلاف، فقال النبي ﷺ في شأنه: «ما ضرّ عثمان ما فعله بعد اليوم». لأن العمل الصالح يكون نافعًا للمؤمن بقيَّة حياته.

لذلك قال النبي ﷺ عن أهل بدر: «يا عمر إن الله اطَّلع علىٰ أهل بدر فقال: اعملوا ماشئتم قد غفرت لكم». لا يظن بأهل بدر أن ينتكسوا، لٰكِن إذا حصل منهم شيء فتلك الحسنة العظيمة يغفر لهم بسببها ما كان بعد ذلك .

مقالات السلف والتنقبل فيها لا أمل منها، لأن كل واحدة منها بحر، وتسوقك في أنواع من العلم ، شيئا في السلوك، شيئا في العقيدة، شيئا في الزهد، تجد أنها تولد عندك كثير من الحنين عند أولئك القوم الرجال الذين نفعوا بتلك الكلمات القليلة.





سئل ابن تيمية: أيهما أنفع للعبد التسبيح أم الاستغفار؟ فقال: **إذا كان الثوب نَقِيًّا فالبخور والورد أنفع، وإذا كان الثوب مُتَّسِخًا فالصابون والماء الحارُّ أنفع.**[1]

هٰذا يسألخ، طبعا الذي يسأله ليس طالب علم، لما نبحث مع طلاب العلم ايهما أفضل التسبيح أو الاستغفار، بحث آخر، نبحث فيه في معاني التسبيح وما اشتمل عليه من جهة تعلُّقه بالله جل وعلا، التنزيه لله جل وعلا وتعظيم لله جل وعلا، وفيه التوحيد.

والاستغفار فيه طلب المغفرة، يعني عمل وذاك عقيدة.

لٰكِن هنا بحال السائل، وهو الذي ينفع الكثيرين منا، أو ينفعنا جميعا،

قال: (أيهما أنفع للعبد التسبيح أم الاستغفار؟ فقال: **إذا كان الثوب نَقِيًّا فالبخور والورد أنفع**) يعني أن العبد إذا كان يعاهد نفسه بنظافة ثوبه، كُلَّما أذنب استغفر، فنظف قلبه بعمل الصالحات، بالذهاب للمسجد، بعمرة مُكَفِّرة للذنوب، بصدقة، بحج، بصيام نفل، هو دائما ينقي قلبه. يعني إذا كنت حريصا علىٰ نقاء ثوبك دائما **فالتسبيح أنفع**، لأنه يرفع الدرجات، أما إذا كان الثوب متسخا **فالصابون والماء الحارُّ أنفع** وهذا ما نحتاجه فعلا في السلوك في درجتين:

الأولىٰ: أن العبد يُحْمَد إذا كان متنظفا في ثيابه، الرجل يغضب علىٰ أهل بيته إذا لم ينظفوا ثوبه، لأن حسن الظاهر مطلوب، لكن جمال الباطن أهم، سلامة القلب أنفع، صلاح القلب أنفع، لذلك قال عليه الصلاة والسلام في الصلوات الخمس في مَثَلِها: «كنهر بباب أحدكم يغتسل فيه خمس مرات فهل يبقىٰ من درنه شيء» ؟ قالوا: يارسول الله لا يبقىٰ من درنه شيء قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يُكَفِّرُ الله بهن الخطايا».

إذا كان عندك نهر جارٍ نظيف تغتسل منه وتنظف ظاهرك، فكذلك الصلوات الخمس، فالعبد قد يقول كلمة يغْلظ فيها، يقول كلمة فيعاهد نفسه دائما علىٰ نقاء ثوبه الداخلي، علىٰ نقاء روحه، نقاء قلبه بالاستغفار، بالصلوات، بالمكفرات، بالعلم النافع، بالصدقة، بالدعوة، بالإعانة، بالأمر بالمعروف

---

(١) قال ابن القيم في «الوابل الصيب» (ص٩٢): وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ يوما: سئل بعض أهل العلم أيهما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيًا فالبخور وماء الورد أنفع له، وإذا كان دنسًا فالصابون والماء الحار أنفع له. فقال لي رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: فكيف والثياب لا تزال دنسة؟





والنهي عن المنكر، بأنواع العمل الصالح.

لكن إذا كان يعرف أنه مذنب فلا بد أن ينتبه لنفسه ليكثر من الاستغفار، كما كان النبي ﷺ يُعَلِّم الأمة حيث كان عليه الصلاة والسلام كما رواه مسلم في الصحيح «يستغفر في المجلس الواحد أكثر من مائة مرة». وفي لفظ: «سبعين مرة». ولفظ سبعين في لغة العرب إذا أطلق لا يراد به الحصر، بل يعني التكثير، كما قال تعالىٰ: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[التوبة:٨٠].

[فتعاهد نفسك بالاستغفار وأنت في سيارتك وأنت في بيتك، إذا أصابك الملل فعليك بالاستغفار.

آخر شيء في كلمات اليوم قال الحسن رَحِمَهُ اللهُ: **فتَّشت الوَرَع فلم أجده في شيء أقل منه في اللسان**.الإنسان يستطيع أن يمنع نفسه عن أشياء كثيرة، لكن أصعب شيء أن يمنعه هو اللسان، لذلك قال عليه الصلاة والسلام فيما صح عنه: «من ضَمِن لي ما بين لَحْيَيْه وفَخِذَيه ضمنت له الجنة ».

وفي الحديث المعروف قال: أوإنَّا لَمُؤَاخَذون يارسول الله بما نتكلم به ؟ قال: «ثَكِلَتْك أُمُّك وهل يَكُبَّ الناسَ في النار علىٰ وجوههم – أو قال: علىٰ مناخرهم – إلا حصائدُ ألسنتهم».

فاللسان صغير الجِرْم لكنه عظيم الجُرْم.

اللسان له أشياء حسنة، يُوَحِّد الله جل وعلا، يُثْني عليه، يَذْكُره، يتلو القران، يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، هناك أبواب كثيرة للسان ما بين واجب ومباح، لكن له أبواب أخرىٰ، مثل الكذب، النميمة، الغيبة، اللَّمْز وغيرها من الأشياء المنهي عنها، فاللسان خطير جدا، تجد بعض الناس يترك الخمر والسرقة والزنا، لكنه لا يحفظ لسانه ولا يتقي الله فيما يقول، مثل الذين يكتبون في الإنترنت: فلان عمل كذا وكذا وليس لكلامه أساس من الصحة وإنما سمع شيئا فظن ظنا وحَوَّلَه إلىٰ قول ثم نشره،] فالأصل في المسلم أنه إذا رأىٰ خيرا نشره وإذا رأىٰ غير ذلك كَتَمه، لأن ذلك أطيب وأحسن.

وإذا بحثنا عن كبائر اللسان من القذف والسب والشتم... إلىٰ آخره وجدنا الشيء الكثير مما يقع فيه الناس.

الآن يقولون «أمانة الكلمة» هذه كلمة جميلة، لأن الإنسان مؤتمن، وهذه الكلمة تخرج من من لسانه، واليوم ينشر في الصحف وبعض الكُتَّاب الذين يكتبون في الصحف وينشرون بعض الكتابات التي لا تكون إلا في خدمة سبيل الشيطان، من قدح في أئمة الإسلام، في صحفنا فضلا عن غيرنا وقوع في كثير من





أهل العلم، في السلف الصالح، في الدعوة السلفية ووقعوا ... إلىٰ آخره، أيضا وقعوا في أهل العلم المعاصرين وأصبحوا يشنعون بهم بأشياء وظنون، ووقعوا في خطباء المساجد ووقعوا في الدعاة، أمانة الكلمة وصدق اللسان بعيد عن كثير مما قالوا، لأن الكلام إذا لم يكن القصد منه صالح الإسلام والمسلمين، فهو وبال علىٰ صاحبه، والمقصود منه إضعاف الدين والخير في هٰذه البلاد؛ لأن الجدار ولو كان منيعا، إذا كان كل يوم يضرب فيه بحجر ويكسر منه قليلا، قد يأتي يوما ويتخلل مهما كان منيعا.

ولذلك فإن حفظ اللسان درس للأمة، أمانة الكلمة درس للأمة، ويجب علىٰ كل إنسان مؤمن، يخاف الله جل وعلا أن ينتبه إلىٰ كبائر اللسان، لأنها مُوبِقة والإنسان لا يكاد يشعر.

الصلوات الخمس مكفرة إذا اجتنبت الكبائر، لكن المرء لابد أن ينتبه لنفسه ماذا فعل، لابد ينتبه لبعض الأشياء المغفول عنها.

ذكر المقدسي في كتابه «منهاج القاصدين» وهو كتاب ملخص من كتب قبله، لكنه طيب في الترقيق والسلوك والأعمال الصالحة، ذكر قصة رجل أراد أن يشتري عبدا رقيقًا فأعجبه، فقال: ما مواصفاته؟ قال: مواصفاته كذا وكذا ويكتب ويعرف الحساب ويعرف الآلة ويعلف للدواب فمدحه؛ ولكن براءة للذمة قال: فيه عيب واحد. قال: ما هو هذا العيب؟ قال: له يوم في السنة يكذب فيه. قال: لا يضرني ذلك اليوم. فأخذه، ومضت الأيام وهو فَرِحٌ به جدًّا.

حتىٰ جاء اليوم الذي يكذب فيه، فقال للزوجة -زوجة سيده-: بلغني أن زوجك يريد أن يتزوج وأنه متعلق بامرأة، والحل سهل جَرَّبْتُه قبل ذلك.

قالت: ما هو ؟

قال: إذا نام في الليل تأتين بسكين أو مِقَصّ وتقصين شعرات لحيته المتدلية علىٰ حلقه.

قالت: هذا فقط؟ قال: هو ثقيل النوم أنا أعلم هذا.

لما جاء الزوج قال له: يا سيدي أنا لك ناصح أمين، زوجتك لها عشيق، وبلغني أنها تريد أن تقتلك الليلة ليسلم لها، فتناوم. فتغطىٰ الرجل وجاءت المرأة بالسكين فأمسكها وقتل المرأة، لما سمع العبد الصياح طار إلىٰ أهل الزوجة وقال لهم: سيدي ذبح ابنتكم. ذهبوا فذبحوه.





قال: يكذب مرة واحدة ما يضر؛ لكن هذا كذب كذبة أفسد بها الدنيا، ربما تكذب كذبة واحدة لا تلقي لها بالًا تُذْهِب عُمرك تهوي بك في النار سبعين خريفًا.

فلذلك يجب عليك أن تحرص علىٰ نقاء اللسان، فليس شيء أحق بالحبس من اللسان، تكلم بما ينفع، ولا تتكلم بما يضر، قال تعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء:١١٤].

أسأل الله جل وعلا أن يوفقني وإياكم لما فيه الرشد والسَّداد، اللّٰهمَّ اغفر لنا ولوالدينا، ولمن له حق علينا، اللّٰهمَّ وفق ولاة أمورنا لما فيه الخير والسداد، واجعلنا وإياهم من المتعاونين علىٰ البر والتقوىٰ.

اللّٰهمَّ أبرم لهذه الأمة أمر رشد يُعَزُّ فيه أهل الطاعة، ويُهدىٰ فيه أهل المعصية، ويُخذل فيه من أراد بنا سوءًا، إنك علىٰ كل شيء قدير.

اللّٰهمَّ واغفر للملك فهد بن عبد العزيز وأسكنه فسيح جناتك واجزه عن الإسلام والدعوة خيرًا، واغفر لآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين والمسلمات، إنك علىٰ كل شيء قدير.

اللّٰهمَّ اجعلنا من المقبولين في هذا الشهر الكريم، نعوذ بك أن نَزِلَّ أو نُزَلَّ، أو نَضِل أو نُضَلَّ، أو نَجْهَل أو يُجْهَل عَلَيْنا، اللّٰهمَّ آمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

[الأسئلة]

جزىٰ الله فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ خير الجزاء علىٰ هذه المحاضرة الماتعة التي شَنَّف بها الآذان متنقلًا بين بعض أقوال السلف رحمهم الله تعالىٰ في درس عملي في كيف نقرأ هذه النصوص، وكيف ننتفع بها، نسأل الله ﷻ أن ينفع الجميع بذلك.

معالي الشيخ، هنا مجموعة من الأسئلة إن أذنت بطرح بعضها.

**سؤال (١)**: ما موقف المسلم من حال الخلاف بين أهل العلم في المسائل الخلافية، نرجو من فضيلتكم التفصيل في ذلك؟

**الجواب**: الحمد لله رب العالمين، الاختلاف وقع في الأمة ولا غرابة في ذلك، لأنّ هناك أسبابا لوجود





الاختلاف، فكون العلماء يختلفون في أقوالهم في المسائل الفقهية المعروفة لا غرابة في ذلك، لأن مَوْرِد النصوص ربما يكون محتملًا لأنواع من الفهم.

ففي مثل هذه الحالة يجب علىٰ المرء المسلم العادي أن يسأل من يثق في دينه وعلمه، ويتبع فتواه.

أما إذا كان عنده علم ويستطيع أن يبحث، فإنه يبحث ويجتهد فيما دل عليه الدليل ووافقته القواعد العامة.

أحيانًا قد يظن أن الدليل يدل علىٰ شيء معين، لكنه يخالف القواعد، فلا بد أن يكون الأمر قد دَلَّ الدليل عليه في فهمه، حتىٰ يذهب إليه ووافقته القواعد العامة فيما يختار من الأقوال.

هٰذا في المسائل الفقهية، في مسائل العبادات والصلوات في الصيام، في الزكاة، في الحج، في البيوع إلىٰ آخره.

القسم الثاني: وهو مهم وهو اختلاف أهل العلم في المسائل النازلة التي تهم الأمة، هٰذه هي موطن الإشكال وهي التي يعاني الناس منها اليوم في كثير من المسائل، يرىٰ قضايا مختلفة، فيقول: أسمع لهذا وهذا وهناك اختلاف كبير بين أهل العلم.

المسائل المعاصرة المتعلقة بالأمة مثل الحروب، مثل المواقف، مثل الجماعات، مثل الأمور التي تتعلق بالشأن العام، كل هذه لها سلوك خاص للتعامل معها،

**أولًا:** لا تستمع لكل مَنْ يتحدث، لأن كل من يتكلم في هذه الموضوعات سيُلقِي عندك أشياء من الخلط فيها، بحيث قد تخرج بعد سماع الكثيرين بأنك لا تدري ما الصواب فيها.

**الأمر الثاني:** أنها إذا كانت لا تعنيك لا اعتقادًا ولا علمًا ولا عملًا فإنك لست مطالبا شرعًا بأن تعتقد فيها شيئًا من المسائل، بل عليك أن تقول: هذا أمر لا يعنيني. وأما الدخول في الموقف بتفاصيله فهذا شيء ينبغي أن تتركه لأهله.

الدرجة الثالثة: أن الذين يتكلمون في هذه المسائل يختلفون لأسباب:

السبب الأول: معرفة الحال علىٰ حقيقته، فالحكم علىٰ الشيء فرع عن تَصَوُّرِهك

فمنهم من يحكم بناءً علىٰ ما يسمع في القنوات أو الأخبار أو الجرائد.

ومنهم من يحكم من خلال تقاريرَ تأتيه من مصادرَ موثوقةٍ، لها علم وصناعة، تختلف الأقوال،

تختلف باعتبار المصالح، فهذا يسمع ويبني عليه.

هل كل ما يُقال في القنوات الفضائية صحيح ؟ الجواب: لا غير صحيح.

فالقنوات الفضائية كاميرا مثل هذه الكاميرا التي أمامنا مُركَّزة عليَّ أنا، لكن المسجد طرَفاه طرَف هناك وطرف هناك، كلما مر بهذه الكاميرا ظننت أن المسجد ممتلئ وفي الحقيقة المسجد آخره خالي من الناس.

فإذًا الكاميرات وسائل الإعلام تعطيك صورة قد لا تكون الصورة الحقيقة في الصورة، وكذلك التعليق عليها.

الآن نأتي هنا إلىٰ مصدر الأقوال، فمصدر الأقوال يأتيك من عدة وسائل، وأكبر شركة لإمداد جميع وسائل الإعلام في العالم بالأقوال والصور هي «رويتر»، و«رويتر» هذا كان رجلا ألمانيا في القرن التاسع عشر، كان مهتما بالإعلام وذهب إلىٰ بريطانيا وأسس شركة بالتعاون مع مجموعة من اليهود شركة رويتر ومن ذلك الوقت حتىٰ الآن وهي التي تمد المؤسسات بالصور، فالصور أكثرها مأخوذ من هذه المؤسسة وبعض الأخبار كذلك.

حتىٰ جاءت القنوات الحديثة وصار لهم مراسلون، هؤلاء المراسلون قد ينقلون كل شيء وقد لا ينقلون.

إذن هٰذا نوعن الحكم علىٰ الشيء بناء علىٰ المصدر، ولذلك من يتحدث في الأمور المعاصرة يجب أن لا يستعجل حتىٰ يبرء ذمته، لأن الناس قد يقتدون به، خاصة من العلماء أو من طلبة العلم، قد يقول أشياء بناء علىٰ مورد ثم الناس يقتدون به ولا يدرون، ولذلك يجب أن يتأنىٰ المرء بحسب المصدر.

السلوك الرابع هنا: يختلفون باعتبار المآلات، واحد يقول كلمة، فيه بعض طلبة العلم أو بعض اهل العلم، أو بعض الدعاة، يتكلم باعتبار الشيء في نفسه، يقولك هٰذا حق أتكلم فيه، لٰكِن أهل العلم يقولون: إن النظر الصحيح ينبني علىٰ ثلاثة مراحل:

- التصور الصحيح.
- والفهم.





- ومعرفة المآلات.

ثلاثة أشياء، تصور الأمر علىٰ ما هو عليه، ثم فهمه، ثم معرفة المآلات، أي ما سيؤول إليه الأمر وما سيئول إليه كلامك إذا تكلمت.

ومن لا يدرك هذه الأشياء يقع في الخلل.

هناك ناس ربما يتصور، لكن فهمه أقل، يختلف، أو لا يدرك المآلات.

يعني لا يعرف العواقب ولذلك تحدث الخلافات، لأن هناك اختلافا في الإدراك، اختلافا في التصور، اختلافا في معرفة المآلات،معرفة ما الحكمة، معرفة ما ستؤول إليه الأمور، لأن الواجب هو النظر في المصلحة الشرعية من الكلام، فإن الشرع مرتبط بالمصلحة، كما قال بعض أهل العلم: حيثما كان الشرع فَثَمَّ المصلحة. وأيضًا في الأمور الاجتهادية أنت ترىٰ المصلحة وهناك تعرف الحكم الشرعي، فالشريعة جاءت بتحصيل المصالح ودرء المفاسد، هنا يكون الاختلاف، لذلك إذا جاء الاختلاف في مثل هٰذه الناس المتلقين علىٰ ثلاث أصناف:

* هناك شخص يحب الأشد، يحب أقوىٰ واحد، يعجبني هٰذا، بغض النظر، هل كلامه فعلًا يخدم المصلحة أو لا، لأن طبيعته وما في داخله ترغب في هٰذا الشخص القوي، لكن هل معنىٰ ذلك أنه هو الصواب؟ لا ليس كذلك.

* الفئة الثانية من الناس لا يعينها الأمر لا من قريب ولا من بعيد، وهذا غير طيب.

* الثالث: وهو الوسط وهو المطلوب، وذلك بالنظر في الأمور بعقل وحكمة ومعرفة للشرع وللمآلات فيه، ثم مشاورة أكبر وأكثر قدر من أهل العلم .

ولذلك قلت أنا في عدد من المناسبات: إن المسائل العظيمة لا يصلح أن يستقل بالكلام عليها شخص مهما كان علمه. وقديما قال أحدهم: لو كانت نزلت علىٰ عمر لكان جمع لها أهل بدر. والآن هناك من المسائل العظيمة التي تأتي علىٰ الأمة وكل واحد يتكلم في الفضائية وفي الصحف وفي خطبة الجمعة وكل هذا لا يصح، بل لا بد أن يجتمع أهل العلم ليبحثوا الأمر من كل جوانبه -ولو تأخر قليلًا- ثم بعد ذلك يُبينون للناس ما يجب عليهم.





فلذلك يجب علىٰ المسلم التروي والأناة وأن يحرص علىٰ ما ينفعه في دينه.

**سؤال(٢)**: جزاكم الله خيرًا، وهٰذا سؤال جاء عن طريق الشبكة، أملِك أرضًا مدة طويلة ولم أنوي بيعها، ثم جاءني سعر طيب فيها فبعتها، فهل أزكيها للسنة التي بعتها فيها أم للسنوات الماضية ؟

**الجواب:** الصحيح في هذه المسألة أنه يزكِّي بعد حول من إعدادها للبيع، لما رواه أبو داود في «سننه» بإسناد لا بأس به، اعتمده كثير من أهل العلم في هذه المسألة، قال سَمُرَة: كنا نُؤمَر أن نخرج الزكاة مما نعدّه للبيع. وعروض التجارة هي ما أُعد للتجارة والتجارة هي البيع والشراء.

والإعداد اختلف فيه أهل العلم هل يبدأ الإعداد للبيع من النية؟ كثير من أهل العلم يرون أنه يُشترط لها هنا أن ينوي بها التجارة من حين ملكها، يعني من أول ما ملكها ينوي بها التجارة، إذا نوىٰ بها التجارة من أول ما ملكها. يقولون: لو جلست عشر سنوات فإنه يزكيها.

والقول الآخر وهو الأقرب في هذا وأتبع لظاهر الحديث، لأن مسألة عروض التجارة فيها خلاف بين أهل العلم، فمنهم من لا يرىٰ فيها الزكاة ومنهم من أوجبها كالإمام مالك في الأموال المُدارَة، أما ما لا يُدار فلا زكاة فيه، والأولىٰ في ذلك اعتماد ظاهر الحديث وهو أن ما أُعد للبيع وجبت فيه الزكاة، من إعدادك للبيع، تقول: والله أنا سأبيعها، نويت أن أبيعها، فإذا أخبرت الناس بذلك فعليك أن تبدأ فيها حولًا ثم تزكيها، هذا هو الأقرب والأسلم إن شاء الله تعالىٰ.

**سؤال (٣)**: ذكرتم حفظكم الله في بداية المحاضرة التغافل، بينما إذا نظرنا إلىٰ سيرة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نجده لا يتغافل عن أي خطإ يراه.

**الجواب**: والله لا أدري هل كلامه صحيح أو لا، ولكني أذكر قصة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع المرأة التي أتاها وسمع أشعارها في الليل فطلبها، هذه قالت في شعرها:

والله لولا الله تُخشىٰ عواقبه.. إلىٰ آخره

فطلبها وقال لها: ما شأنك؟ قالت: إن زوجي قد انتدَبْتَه إلىٰ الغزو وله كذا، فأمر بإرجاعه، الذي أعرفه أن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يداري، لكن إذا ظهر الأمر باعتبار ولايته فإنه يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، هٰذا واجب، التغافل في السلوك وفي التعاشر لا تعارض بينه وبين النصيحة وبين الأمر والنهي، التغافل هذا نوع من السلوك أن تداري من تعاشره، لكن إذا ظهر المنكر هٰذا واجب، يكون التغافل له شأن آخر،





النصيحة لها ميدانها، الأمر والنهي له ميدانه، والتغافل له ميدانه.

نختم بهذا، أسأل الله جل وعلا لي ولكم التوفيق والسداد والمغفرة والرضوان، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.



